International Journal of Academic Multidisciplinary Research (IJAMR)
ISSN: 2643-9670
Vol. 6 Issue 9, September - 2022, Pages: 472-487

Educational Poetry and Its Role in Facilitating Grammar Andalusian Era as a Model

Abbas Alsharif Abdalla Ibrahim[1], Alnazeer Alageapa Ahmad Alpla[2], Amani Abdalla Hassan Ibrahem[3]

[1]Assistance Professor in Arabic Department – Faculty of Education at Eldaein University- Sudan.
Email: Abbsharif11@gmail.com
[2]Assistance Professor in Arabic Department – Faculty of Education at Eldaein University- Sudan.
Alnazeermfrh@gmail.com
[3]Assistance Professor in Arabic Department – Faculty of Education at Eldaein University- Sudan.
Amany naa890@gmail.com

Abstract: *The study aimed to clarify the concept of educational poetry, its characteristics, and the beginnings of its emergence, and the reasons for its spread in the Andalusian era. The study also included showing the role played by the educational poetry in facilitating grammar rules through the various methods that scholars have followed to achieve this, such as millennia poetry, grammatical cases systems, questions and answers, and the study followed the descriptive analytical approach. It concluded with the most important results: -The educational poetry is purely Arabic, derived from the ancient Al-Arajiz and Al-Maton. – The development of educational poetry with the development of intellectual and civilized life and was affected, like other sciences, by other cultures and civilizations. -The educational poetry have clearly contributed to facilitating grammar for students and scholars.*

Keywords: educational poetry, means of facilitation, millennium composing

النظم التعليمي ودوره في تسهيل قواعد النحو
العصر الأندلسي نموذجاً

د. عباس الشريف عبدالله إبراهيم

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية – كلية التربية . جامعة الضعين . السودان

Abbsharif11@gmail.com

د. النذير العجيبة أحمد البلة

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية – كلية التربية . جامعة الضعين . السودان

Alnazeermfrh@gmail.com

د. أماني عبدالله حسن إبراهيم

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية – كلية التربية . جامعة الضعين . السودان

Amany naa890@gmail.com

ملخص الدراسة

هدفت الدراسة إلى بيان مفهوم الشعر التعليمي وخصائصه وبدايات نشأته وأسباب انتشاره بالعصر الأندلسي ، كما شملت الدراسة إظهار الدور الذي لعبه النظم التعليمي في تسهيل قواعد النحو عبر مختبف الطرق التي اتبعها العلماء لتحقيق ذلك ، كنظم الألفيات ونظم القضايا النحوية والأسئلة والأجوبة ، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، وخلصت إلى نتائج أهمها :

- النظم التعليمي عربي محض مستمد من الأراجيز والمتون القديمة .

- تطور النظم التعليمي بتطور الحياة الفكرية والحضارية وتأثر كغيره من العلوم بالثقافات والحضارات الأخرى .
- ساهم النظم التعليمي بصورة واضحة في تسهيل النحو على الطلبة والدارسين

الكلمات المفتاحية : النظم التعليمي ، سبل التسهيل ، نظم الألفيات

المحور الأول: الإطار المنهجي

المقدمة :

بفضل نمو الثقافة العربية في العصر العباسي ونشاط الحركة الثقافية وتأثرها بمختلف العوامل المتمثلة في الاحتكاك بالحضارات والثقافات الأجنبية المختلفة وانتشار حركة الترجمة والنسخ التي نقلت علوم الأمم الأخرى وآدابها وأذاعتها في الناس؛ مما سبب إيجاد نهضة معرفية وحركة علمية استفادت من الفلسفة وغيرها تنوعت مجاري الفكر وصبغت العلوم بصبغة فلسفية تقوم على التعليل والتحليل والاستدلال والمنطق وهذا الأمر ساعد على نزوع الشعر نزعة جديدة بحيث يكون موجّهاً لأغراض معينة ومحققاً لأهداف تعليمية فكانت طائفة من الشعراء تنظم القصائد بغية إنماء الفكر العربي وارتياد عوالم مستحدثة بقصد تقديم العلوم بطريقة محبّبة إلى نفس المتعلم ، وتلك الطريقة تتسم بالسهولة واليسر. والأدب فرع مهم من فروع الحضارة يتأثر بقيمها المختلفة وأساليبها المتنوعة ويمثّل ثقافاتها المختلفة وتمازجها المترامي الأبعاد ، فظهرت في الشعر العربي منذ بداية العصر العباسي ظواهر جديدة بعضها غريبة عنه اتخذت شكله والتبست به وأهمها المنظومات التعليمية في مختلف ألوان المعرفة وقد عدها بعض الباحثين فنا شعرياً مستحدثا ورآها آخرون انحرافاً في مسيرة الشعر العربي ومأخذاً عليه.

مشكلة الدراسة

يمكن توضيح مشكلة الدراسة من خلال طرح الأسئلة التالية :

في ظل التعقيد النحوي وصعوبة قواعده بالمدارس النحوية الأولى ، ما السبل التي تم ابتداعها العلماء لتسهيل النحو؟ وما مفهوم النظم التعليمي وخصائصه ؟ وهل هو عربي النشأة أم هو دخيل على العرب ؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى بيان مفهوم النظم التعليمي وخصائصه وبداياته ودوره في تسهيل النحو العربي ، ومعرفة الطرق التي اخترعها العلماء لتحقيق ذلك ، بجانب الحفاظ على الشعر التعليمي وصونه من الخطأ والتحريف.

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية الدراسة من إبراز الدور الكبير الذي أظهره النظم التعليمي في تيسير قواعد النحو وتذليل مصاعبه على الطلبة والدارسين ، الأمر الذي جعل العلماء يبرعون في تنوع أساليب التعليم في تلك الفترة ، إضافة إلى بيان قيمة الشعر التعليمي من حيث التركيب.

منهج الدراسة :

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي

هيكل الدراسة :

لتحقيق أهداف الدراسة تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة محاور : شمل المحور الأول :الإطار المنهجي ، أما المحور الثاني فقد شمل الإطار النظري وتناول مفهوم النظم التعليمي وخصائصه وبداياته ، وتناول المحور الثالث النظم التعليمي في الأندلس وسبل التسهيل ، إضافة إلى النتائج .

المحور الثاني : الإطار النظري

أولا : مفهوم النظم التعليمي وخصائصه وبداياته

1. مفهوم النظم التعليمي :

هو ضرب من النظم ينظم في قالب شعري في علوم مختلفة من نحو وتاريخ وفقه وقصص وأخبار ، يقوم بمخاطبة **العقل** ويبتعد عن العاطفة والخيال .

2. خصائص النظم التعليمي

1. التركيز على الخِطاب العقلي

فقد ركز النظم التعليمي على الابتعاد عن الانفعال الشعوري والميل إلى التفكير والتأمُل، فهو يثير القُدرات العقلية لقارئه ويفعل قوانين التعليل الموجودة عنده ويدفع به بعيداً عن الأحاسيس والعواطف فهو ذو طابع عقلي بحت.

2. كثافة عِباراته

الشعر التعليمي لا يحتاج لأن يكون ذو عبارات طويلة ومُفصلة، وذلك لكي يَسهُل حفظها من قِبل المُتعلمين، لذلك فقد قام شُعراء الشِعر التعليمي بنظم قصائدهم دون زيادة وحشو في الكلام لكي تُستسهل من قبل الطلاب.

3. الشكل الشعري : وهذا يعني أن النظم التعليمي جاء في شكل أشكال شعرية محددة كالقصيدة والأرجوزة
4. تنوع موضوعاته ، فلم يقف الشعراء عند موضوع واحد ، بل انساقوا إلى موضوعات كثيرة متنوعة ، فنظموا في التاريخ والقصص واللغة والفقه والنجوم وغيرها .

3. بداياته :

شكلت قضية وجود الشعر التعليمي في الأدب العربي مصدر خلاف بين العلماء والباحثين فهو شعر يهدف إلى تعليم الناس شؤون حياتهم، واطلاعهم على الماضي البعيد والقريب، والبحث في القضايا والأحكام الدينية والتاريخية وغيرها، لذلك فقد كان للعلماء فيه آراء، وبخاصة حول النشأة والوجود، فهل هو شعر عربي محض، أم أنه شعر دخيل على العربية، عرفته هذه اللغة بعد اتصالها بغيرها من الأمم والشعوب وامتزاج الثقافات في الدولة العربية الإسلامية ؟

وذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أن هذا الشعر هو عربي وظهر ذلك في كتابه (التطور والتجديد في الشعر الأموي) ، حيث يعدُّ هذا الشعر عربيَّ النشأة في أواخر القرن الأول الهجري وأوائل الثاني، أو قل أواخر دولة الأمويين، إذ أن أراجيز الرجّاز وبخاصة رؤبة والعجاج قد كانت متوناً لغوية، وبالتالي فهو النواة والبذرة التي انبنى عليها الشعر التعليمي في جانب الكلام المنظوم، وتطور في جانب النثر فكانت المقامات . . . "ونحن نؤمن بأن هؤلاء الرّجاز – وفي مقدمتهم رؤبة– هم الذين أعدوا شعراء العصر العباسي لا للشعر التعليمي فحسب، بل لاقتباسهم للغريب في أشعارهم، فالغريب أصبح جزءا مهما في مادة الشعر عند الشعراء الممتازين من أمثال بشار وأبي نواس وأبي تمام"([1])

ويقول عن رؤبة وعن أبيه العجاج: "والإنسان لا يلم بديوانيهما حتى يقطع بأنهما كانا يؤلفان أراجيزهما قبل كل شيء من أجل الرواة، ومن أجل أن يمداهم بكل غريب، وكل أسلوب شاذ، ومن هنا كنا نسمي هذه الأراجيز متونا لغوية، وقد بلغت هذه المتون صورها المثالية عند رؤبة، فهو النمو الأخير لهذا العمل التعليمي الذي أرادته المدرسة اللغوية من جهة، والذي استجاب له الرجّاز من جهة أخرى. ولعل هذا ما جعل اللغويين يوقرونه أعظم التوقير، فأبو الفرج يقدمه في ترجمته بقوله: "أخذ عنه وجوه أهل اللغة: وكانوا يقتدون به ويحتجون بشعره ويجعلونه إماماً " ([2])

[1] ـ شوقي ضيف ، التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ط8، دار المعارف ، القاهرة 1978، ص: 317، 323، 224.
[2] ـ السابق ، نفس الصفحات .

ويردف ضيف قائلا: " والأرجوزة الأموية من هذه الناحية تعد أول شعر تعليمي ظهر في اللغة العربية" كما يقول: ". . . ومهما يكن فقد ألهمت الأرجوزة الأموية الشعراء في العصر العباسي أن يقوموا بنظم شعرهم التعليمي، كما ألهمت أصحاب النثر أن يقوموا بوضع المقامة" ([3])

ويرى بعضهم الآخر أنه من مكتسبات الثقافة اليونانية ،في حين يرى الدكتور محمد قاسم نوفل أنه تأثر بالثقافتين اليونانية والهندية، " فاليونان قد عرفوا الشعر التعليمي ونظموا فيه لاسيما فيما يتعلق منه بتاريخ آلهتهم وبحياتهم الاجتماعية وبحروبهم([4])

واتخذت المنظومات التعليمية وما أطلق عليه اسم الشعر التعليميء الشكل الخارجي للشعر وزناً وقافية وكانت في معظمها من المزدوجات التي جعلها بعض الأدباء والعلماء وسيلة تعليمية غايتها تقرير العلوم وتتثبيتها وتسهيل حفظ المتون العلمية على طلبة العلم؛ لأن النظم أعلق بالذهن من النثر وأسهل حفظاً.

ولا بد من التنبيه على أن المنظومات العلمية تخالف المفهوم الحقيقي للشعر هذا الفن الجميل الذي يحمل الأفكار والمشاعر بأسلوب ممتع ممتزج بالخيال والموسيقا ولكنها تلتقي مع المفهوم التقليدي القاصر؛ الذي يذهب إلى أن الشعر كلام موزون مقفى دال على المعنى ([5]).

ولما كان لعلم النحو منزلة رفيعة عند العرب، فقد اهتموا فيه بشتى الوسائل والطرق وتفننوا في الحديث عنه، وكان النظم التعليمي النحوي وسيلة مهمة من وسائل الاهتمام بعلم النحو، حيث تروي لنا المصادر التاريخية أن للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) قصيدة منظومة في النحو العربي، وهي من أقدم المنظومات النحوية، وقد ذكر خلف الأحمر(ت180هـ) هذه المنظومة حيث قال: وحروف النسق خمسة وتسمى حروف العطف. وقد ذكرها الخليل بن أحمد في قصيدته في النحو: (الكامل)

فانْسَقْ وَصِلْ بِالواوِ قَوْلَكَ كُلَهُ *** وَبِلا وَثُمَّ وأوْ فَلَيْسَتْ تَصْعُب

الفَاءُ نَاسَقَةٌ كَذَلِكَ عِنْدَنَا *** وَسَبِيلُهَا رَحْبُ المَذَاهِبِ مُشعَبُ

ومازالت هذه المنظومة تعد أول منظومة في النحو في ذلك الوقت المبكر . ثم تتابعت بعدها المتون المنظومة، فنظم أحمد بن منصور اليشكري (ت370هـ) أرجوزة في النحو، عدد أبياتها ثلاثة آلاف إلا تسعين، تناول فيها – فيما تناول – الخلاف في وزن " غزاة" و" رماة " و" قضاة " ونحوها، وهل هي على " فُعَلة " أو " فَعَلة "أو " فُعَّل " ؟، وقد قال في مطلعها (الرجز)

والوزنُ فِي الغُزَاةِ والرماةِ ** في الأصلِ عِنْدَ جُمْلةِ الرُّواةِ

فُعلَةٌ ليسَ لها نَظِيرٌ ** في سَالمٍ مِنْ شَأنِهِ الظُهُورُ

وآخرونَ فِيهِ قَالوا فعَلَةٌ ** كَمَا تَقُولُ في الصَّحِيحِ الحمْله

فخّص في ذلكَ حرْف الفاء ** بالضمِّ في ذِي الواو أو ذِي الياءِ

[3] ـ السابق ، نفس الصفحات

[4] ـ محمد قاسم نوفل ، الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، ص: 229، والشعر والشعراء في العصر العباسي ، مطبعة النصر ،نابلس ،1981م ، ص:279- 280.

[5] ـ ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ت : محمد محي الدين عبدالحميد ،دار الجيل للنشر والطباعة ،ط5 1401هـ-1981م ، 1/119.

وخالَف الفـرّاءُ ما أنبـأت ** و حجّـهم بقــولهم: ســـــــراة

وعنده وزنُ غزاة فـــعّل ** كـــما تقــول نـــــازل و نـزّل

فالهاءُ من ساقطها معتاضه ** و إنـــما تعـــرف بالرياضـــــه

كالأصل في إقامـة إقـوام ** بالاعتياضِ اطّـــــــرد الكـــــلام

وبعضها جاء على التّأصيل ** غزّى و عفّى ليس بالمجهول ([6])

يوضح الناظم في هذه الأبيات الخلاف الذي حصل بين العلماء كالفراء وغيره في وزن الجمع المنتهي بتاء، ففي البيت الأول يذكر: 'جملة الرواة' ولم يقل: 'العلماء' ففرق بين راو وعالم ؛ لأن الراوي يعتمد على النقل، بينما العالم يعتمد على تحقيق المعلومة واستخراج الحكم.

ثم صنف الحريري المتوفى سنة (516هـ) أرجوزته النحوية " ملحة الإعراب وسنحة الآداب " في ثلاثمائة وخمسة وسبعين بيتاً، منها: (الرجز)

أقولُ مِنْ بَعْدِ افتتاحِ القولِ ** بِحمدِ ذِي الطولِ شَديدِ الحَولِ

يَاسَائِلِي عَنِ الكلامِ المُنْتَظَمِ ** حَـــدّاً وَنَوعاً وَإلى كَمْ يَنْقَسِمُ

اسمعْ هُدِيتَ الرَّشْدَ مَا أقولُ ** وافْهَمْهُ فَـــهْمَ مَنْ لَهُ مَعْقـولُ

حَدُّ الكلامِ مَا أفادَ المَسْتَمِعَ ** نَحْوَ: سَعَى زَيدٌ وَعَمْرٌو مُتّبَع

ونوْعـهِ الذي عليه يُبْنَى ** اسْمٌ وفِعْلٌ ثمَّ حرْفٌ معْنًى ([7])

المحور الثالث : النظم التعليمي في الأندلس وسبل التسهيل

1. **النظم التعليمي في الأندلس :**

ظهور الشعر التعليمي في الأندلس تخلله بعض الخلاف حول بداياته، فهو كغيره من العلوم كانت بدايته مجهولة، ولا يوجد دليل واضح وقاطع حول أول من قاله أو ابتدعه في الأندلس، فهو في هذا يشترك مع الموشحات الأندلسية التي مازالت بداياتها وأول من قال فيها مجهولة وغير معرفة، غير أن بعض المصادر التاريخية تنسب أقدم أرجوزة في الشعر التعليمي لأحمد ابن عبد ربه الأندلسي (ت 328) حيث جاءت هذه المنظومة في مدح الخلفية عبد الرحمن الناصر، بلغت حوالي أربعمائة وخمسين بيتاً، وصف فيها غزوات الناصر وحروبه وتاريخ تلك الغزوات والحروب .لذلك كانت هذه الأرجوزة أو المنظومة "أشبه بكتاب منظوم قصره على مغازي الناصر من غير أن يتطرق إلى النواحي العمرانية التي قام بها الناصر .([8])"

[6] ـ الأشباه والنظائر ، 1/300

[7] ـ أبو القاسم بن علي الحريري البصري ، ملحة الإعراب ، مطبوعات أسعد محمد سعيد ، جدة ، ص: 2

[8] ـ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ت : مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ـ بيروت 2/362

وبعد ذلك بدأت المنظومات تحتل موقعاً مميزاً من اهتمام علماء الأندلس، فظهر الكثير منها مثل أرجوزة "أبو طالب عبد الجبار" التي تنوعت موضوعاتها فشملت الأدلة على وجود الله، والحث على التفكير في العالم والكلام عن سير الخلفاء وبدء الخلق وغير ذلك من الموضوعات المتنوعة التي جعلت هذه المنظومة موسوعة تاريخية دينية، فكرية .([9])

وبعد أن برع الأندلسيون في إجادة هذا النوع من الشعر "الشعر التعليمي" والعلوم، المختلفة بدأوا ينظمونه في مختلف العلوم وشتى الفنون، وكانت المنظومات اللغوية والنحوية تحتل موقعاً مميزاً من اهتمام الأندلسيين، في عصور الازدهار والتقدم وكان لذلك أسباب عدة جعلت هذا العلم ينمو ويتطور حتى أصبح منتشراً وبوفرة عندهم .

أسباب انتشار النظم التعليمي في الأندلس:

أ . **ضبط أصول العلم بدقة وإحكام** : إن الفن المنظوم شعرا يجمع المادة النحوية ويلم شعثها بعبارات موجزة جامعة دقيقة يستطيع الإنسان الحصول عليها والاستعانة بها بأيسر الطرق وأسهلها، وهي بهذا المعنى تكون قد وفرت على النحاة مشكلة قلة الورق المطلوب لتدوين تلك المعلومات الكثيرة التي يضم كل بيت منها أحكاماً وقواعد لو حولت نثرا لاحتاجت إلى كمية كبيرة من الورق .[10]

ب . **طبيعة الشعر المنظوم** : من المعروف لدى الباحثين والدارسين أن الشعر المنظوم أسهل حفظا وأيسر من المنثور، وذلك لاحتوائه على القافية والموسيقا، بخلاف وجودها في النثر ، فنظم قواعد النحو العربي شعرا يسهل حفظها وتدارك ما ضاع منها فهي تحوي القواعد بطريقة مبسطة ومميزة ، ونرى ابن خلدون حين امتدح أرجوزة حرز الأماني ووجه التهاني لابن فيره يقول : " فنظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها أسماء القراء بحروف أ ب ج د ترتيبا أحكمه ليتيسر عليه ما قصده من الاختصار، وليكن أسهل للحفظ لأجل نظمها .[11]"

لذلك حرص العلماء أن تحفظ هذه المتون من العالم جوهره ولبابه، وأن تقوم هذه المتون بالدور الفعال في التعليم فالهدف من المنظوم النحوي هو هدف تعليمي بالدرجة الأولى وهو وسيلة للتعليم وطريقة له .

ج .**تعرض الأندلس للنكبات والويلات** : من المعروف أن الإسلام حكم الأندلس "ثمانية قرون مجيدة عاشها العرب المسلمون في الأندلس تحت رايات التمدن وبنود التسامح وأعلام الحضارة، وانسحب تمدنهم على جيرانهم الأوروبيين، ولكن هذا المجد والعز لم يدم للمسلمين طوال الثمانية قرون، فقد سقطت بعض المدن والولايات في منتصف القرن الخامس الهجري مثل طليطلة سنة 478هـ

ونتيجة لذلك السقوط ضاعت العلوم واندثرت المعارف، فوجد علماء الأندلس أنفسهم في مواجهة ما ضاع من الكتب ولاسيما بعد كارثة السقوط المتوالي للمدن والولايات الأندلسية، فشرع هؤلاء العلماء ينظمون قواعد النحو العربي شعراً، محاولين بذلك تذليل الصعاب أمام طلابهم ليسهل عليهم تعلم اللغة العربية ونشرها في بلادهم[12]

د .**الحياة المترفة ورقي العقلية العلمية في الأندلس** :كان العرب في الأندلس على درجة عالية من التمدن والحضارة، فهم يعيشون حياة الترف والفن، فانتشرت في بلادهم الموسيقا والغناء، وكل وسائل الترفيه والتسلية ، وقد ساهمت هذه الوسائل في جعل حياة أهل الأندلس مترفة ومتسارعة، وفي الوقت نفسه كان هناك إجلال وإكبار للعلماء وتقدير جهودهم وإسباغ العطايا عليهم، ما دفعهم إلى التأليف والتقدم في شتى العلوم والفنون، فأصبح علماء النحو في الأندلس على علم واسع بهذا العلم، وتفهم جزئياته وموضوعاته، فقرروا أن يواكبوا الحياة المترفة ويعيدوا الحياة لقواعد

[9] ـ أبو الحسن علي ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، القسم الأول المجلد الثاني ، دار الثقافة ـ بيروت:1979 .م ، ص: 916
[10] ـ الشعر التعليمي النحوي في الأندلس ، ص: 63
[11] ـ ابن خلدون ، المقدمة ، عبد الرحمن طبعة دار أحياء التراث، بيروت، 8/43
[12] ـ خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص: 201 ، ونفح الطيب من غضن الأندلس الرطيب ، /4/447

النحو الجافة عن طريق نظمها شعراً موزوناً يسهل فهمه وحفظه، لما يتمتع به من ظرافة وسهولة ، وُيعد القلفاط محمد بن يحيى (ت302هـ) من أشهر نحاة الأندلس الذين صاغوا قواعد النحو العربي شعراً.([13])

وهذه الفترة في حياة الأندلس شهدت تقدماً عظيماً في علم النحو ، فأصبح الأندلسيون يصوغون تلك القواعد شعراً، ومن ذلك أن القلفاط ([14]) طرحت عليه عدة أسئلة نحوية فاختار الإجابة عنها شعراً فنظم عدة أبيات شملت الحل لتلك الأسئلة وهذه الأبيات([15]):

وعنْ خَطايا اسما تُسمى بِهِ *** إنْ كُنْتَ تصغيراً لـه تَدْرِي

هلْ يَاؤُهُ – قلْ–بدلٌ لازمٌ *** أنتَ لها لا بدَّ مُسْتَبْـــقي

أم هلْ تَعودُ الياءُ مهموزة *** فسّره لنا تفسيرَ مُسْتَقْـــصِي

إنْ كانَ تصغيرُ مطايا كتصغـ *** ـير خَطايا قلْ ولا تُحظِي

فإنْ تُصِبْ هَذا فأنتَ أمْرُؤٌ *** أعلمُ مِنْ خَليلِ النَّحْوِي

فهذه الأبيات تدل على مدى الرقي الذي وصلت إليه عقول علماء الأندلس حتى استطاعوا صوغ هذه القواعد شعراً ليسهلوا على الطلبة فهم جزئيات هذا العلم .

هـ الرغبة في التسهيل والتيسير : و هو السبب الأساس في وضع المتون النحوية المنظومة، فرغبة العلماء في تسهيل النحو وتذليل مصاعبه كانت هماً حمله الأندلسيون، ورأوا أن النظم التعليمي هو أسهل الطرق وأقصرها لتيسير النحو وتسهيله وقد ساعد اختصار هذه المتون على الأسس العامة على حفظها وتقريب الحقائق النحوية إلى ذهن المتلقي، فهي جاءت – في الغالب– خالية من الشواهد والأمثلة الموضحة لقواعدها[16]

2. سبل تسهيل النحو التي سلكها الأندلسيون

أولاً: نظم الألفيات:، ومن هذه المنظومات :

1. ألفية ابن معطٍ

كان لعلماء الأندلس والمغرب مجال السبق في نظم مثل هذا النوع من الشعر التعليمي، فهذا ابن معط يضع أول ألفية في النحو العربي وهو أول من استخدم لفظ "الألفية" في أشعاره فقد قال عن تلك الأشعار النحوية التي وضعها ووصفها بأنها ألفية :(الرجز)

نحويةٌ أشعارُهمْ المرويَّةُ هذا تمامُ الدرةِ الألفيةِ([17])

ويمكن أن نقف عند بعض النماذج من ألفيته لمعرفة طريقة نظمه وتسهيله لقواعد النحو ، حيث يقول في باب الإعراب والبناء :

[13] ـ انظر: طبقات النحويين واللغويين ، ص: 278
[14] ـ هو أبوعبدالله محمد بن يحي القرطبي المعروف بالقلفاط ، أحد معلمي النحو الأندلسيين
[15] ـ طبقات النحويين واللغويين ، ص: 280- - 281
[16] ـ خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري ، ص: 201 و 206
[17] ـ ابن معط، الدرة الألفية ، مقدمة المحقق (ى).

القولُ في الإعرابِ والبناءِ ** الأصل في الإعراب للأسمـــاءِ

بالرفع أو بالنصب أو بالجر ** كمـرّ زيدٌ راكـــــباً بعمـــــرو

والجزم من ألقابهِ كلمْ يرمْ ** وليس في الأسماء شيء ينجزِم

والحرف مبنيٌّ بكل حـال ** والأصل فـي البناء للأفعـــــالِ

أعْني في الاسم وهو أن يضارعا ** الحرف أو كان اسم فعلٍ واقعا

كمـــَن وإيه ونـــزال وهلُـم ** ولفظُ غـــــير المتمكِّن يعُـــــم

تظهر سهولة النظم في الأبيات التي يوضح فيها أن الأسماء حقها الإعراب ، كما أن البناء أصل في الأفعال باستثناء الفعل المضارع الذي خرج عن هذا الأصل ، وأن الحروف كذلك مبنية مع اختلاف علامة البناء كماء يشير كذلك إلى اسم الفعل وقد مثل له في البيت الأخير بقوله : " كَمَن وإيه ونزال وَهلُم " .

ويقول عن النواسخ :

القولُ فيما يرفع الأسمـاءَ ** وينصبُ الأخبـار حيـــثُ جاءَ

من ذاك أفعال ومنه حرْفُ ** والحرفُ في اللّغات فيه الخلفُ

وجملة الأفعال كان أضحى ** أصبح ظلّ بات صار أمسِـى

ليس ومازال وما انفكّ وما ** برح مـا فتئ مـا دام ومـا ([18])

فهذه الأفعال كلها تدخل على المبتدأ والخبر فترفع المبتدأ ويصير اسمها وتنصب الخبر ويصير خبرها، وبدأ الناظم بقوله : 'الْقَول فِيما يَرْقَع الأسماء" والمراد بالأسماء المبتدأات ومع العلم تصلح الأخبار كذلك للأسماء ، وقد فصل بين المبتدأ والخبر بكلمة الأسماء و قوله: "من ذاك أفْعَال " لم يحدد ما هذه الأفعال ولكن يفهم ضمناً أنها كان وأخواتها، وكذلك الأمر في قوله : "وَالحرف" لم يحدد ما هو وهذا يعد قصورا في طاقة النظم على اعتبار أنها مفهومة ، والمراد بالحرف هنا ما المشبهة بليس.

ويقول في الحروف العاملة عمل ليس :

وليس فعلٌ ما له مستقبلُ ** والحرف ما وهو كليس يجعل

في لغة الحجاز إن لمْ يبطل ** النفي منها وإذا لـم يجـــعل

خبرها مقدما على اسمها ** حينئذٍ تُزيلها عن حُكمِـــها

يُشهَدُ للحجاز في لغاتهم ** مقالةٌ ما هُن أمهـاتـــــــهم

ومن عدا أهلُ الحجاز رفعوا ** خبر ما إلا الذين سمعـــوا

النصبُ في القرآن فيما ذُكِرا ** ومنه في يوسف هذا بشرا ([19])

[18] ـ الدرة الألفية ، ص: 51
[19] ـ الدرة الألفية ، ص: 53

International Journal of Academic Multidisciplinary Research (IJAMR)
ISSN: 2643-9670
Vol. 6 Issue 9, September - 2022, Pages: 472-487

يقول : من الحروف نوع يشبه الفعل "ليس" في معناه وهو النفي، وفي عمله وهو النسخ، فيرفع الاسم وينصب الخبر، وأشهر هذه الحروف الأربعة "ما ، لا، لات، إنْ" أما الحرف الأول: "ما" فبعض العرب كالحجازين يعمله وهذا هو الحرف الذي قصده الناظم في قوله: "والحَرَف مَا وهو كلَيْسَ يُجْعل" وأكمل ذلك في قوله: "فِي لغة الحجاز" . واقتبس الناظم من القرآن الكريم في قوله: " مَا هن أُمّهَاتِهم" هذه بعض آية في سورة المجادلة لأجل التدليل كما اقتبس كذلك قوله (وَمثهُ فِي يُوسُف هذا بَشرًا) من سورة يوسف .([20])

ومن موضوعات النحو التي تطرّق إليها ابن معط الممنوع من الصرف حيث يقول :

الْقَوْلُ فِي بَيَان غَيْرِ الْمُنْصَرِفْ ** الصَّرْفُ فِي الأَسْمَاءِ أَصْلٌ اسْتُخِـــفْ
وَهْو فِي الِاسْم الامْكن الأَصْلُ يَقعْ ** وَالصَّر ف بالتَّنوين وَالْجَرُّ تبَـــــعْ
وَهيَ فرُوعٌ تِسْعَةٌ إِ ذا اجْتمَـــــعْ ** منها في الاسم اثنان فالصّرْ ف امتَنعْ
عَدْلٌ وَتأْنِيثٌ وَجَمْـــعٌ اقْـــصَى ** وَعُجْمَـةٌ وَوَزْنُ فِعـــل خُـــــصَّا
وَنونُ فعْلانَ الْمَــزِيدِ وَالصِّفـــــهْ ** وَاسْمٌ مُـــركَّبٌ وَالاسْمُ الْمَـعرَفـــــهْ
فالْعَدْلُ وَالتَّعْرِيف نحْو عُمَـــــرَا ** وَالْوَزْنُ وَالتَّعْـريف نحْـو بَـــــذَّرَا

هذه بعض المقتطفات من ألفية ابن معط التي أسهمت بصورة كبيرة في تسهيل النحو على الطلبة عبر هذا النظم المتماسك الذي شمل جميع الأبواب والموضوعات النحوية والصرفية .

2. ألفية ابن مالك

على الرغم من أن لابن معط مجال السبق في الألفيات النحوية إلا أن ألفيته لم تلق ذلك الاهتمام، أو تلك الحظوة التي نالتها ألفية ابن مالك الجياني فهو قد نظم ألفيته في كل مسائل النحو والصرف وقد جاءت في (1002) بيت، ونالت من الشهرة والصيت ما لم ينله أي كتاب منظوم أو ألفية مرجوزة، وما انكباب الناس عليها بين طالب للإفادة والزيادة وبين آخر يشرح معانيها، ويوضح مبهمها ويُفسر المعنى منها، إلا دليل على أهميتها، وما وصلت إليه من الشهرة والصيت . لقد تجاوز شرَّاح الألفية الأربعين شارحاً، بدءا من ابن الناظم بدر الدين ابن مالك (ت686) ومروراً بابن عقيل حتى بدر الدين محمد بن محمد بن الرضي الغزي (ت1000ه) وما هذه الحظوة التي نالتها الألفية من قبل العلماء إلا دليل على أهمية هذه المنظومة ودورها الجليل في تطور علم النحو وتسهيله على الطلبة [21].

أبواب الألفية وفصولها :

إن الألفية تقع في (1002) بيت على بحر الرجز توزعت فيها أبواب علم النحو والصرف بشكل شبه كامل ، جاءت في مقدمة تبدأ بحمد الله والصلاة على نبيه ثم ذكر الأرجوزة التي اقتدى بها ابن مالك وهي أرجوزة (ألفية) ابن معط، ، بعدها بدأ ابن مالك بالحديث عن أبواب النحو وفصوله حيث بدأها بالحديث عن أقسام الكلام وما يتألف منه وختمها بباب الإدغام، وقد ضم ابن مالك في ألفيته آراءه النحوية النهائية، وتخلى عن آرائه السابقة وأثبت فيها ما يرى صحته .([22])

وقد أعطى ابن مالك للصرف حيزاً ليس بالقليل في ألفيته فأول مسائل الصرف عنده كانت تعدي الفعل ولزومه حيث نظم فيه أحد عشر بيتاً، وأبنية المصادر سبعة عشر بيتاً، وأسماء الفاعلين والمفعولين عشرة أبيات والصفة

[20] ـ عباس حسن النحو الوافي ، ، 1/593
[21] ـ فادي صقر أحمد عصيدة ، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي ، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ـ فلسطين 2006م ، ص: 155
[22] ـ المنظومة النحوية ، ص:6

المشبهة باسم الفاعل سبعة أبيات وغير ذلك من الموضوعات التي طرقها في ألفيته حتى بلغ عدد الأبيات التي تناولت علم الصرف حوالي ثلاثمائة بيت، والأبيات المتبقية وعددها سبعمائة وبيتان خصصها لعلم النحو. وفي خاتمتها يحمد ابن مالك ربه الذي أعانه على إتمام هذه المنظومة فيقول :

فأحمدُ اللهَ مُصَلياً علـى محمدٍ خيرِ نَبِي أرْسلا

وآلـهِ الغرِّ الكرامِ البررةْ وصحبهِ المُنْتَخَبِينَ الخَيَرةْ

لقد جاءت فصول ابن مالك ذات لغة صعبة الفهم في نظمها، حافلة بالمعاني منسقة الأحكام، مليئة بالقواعد النحوية وأصولها، ومع ذلك كانت فيها مظاهر رغبة ابن مالك واضحة وجلية من أجل التيسير والتسهيل، وظهر في الألفية العديد من مظاهر هذا التيسير .

مظاهر التسهيل في ألفية ابن مالك :

1. **الإيجاز والابتعاد عن الحشو والشرح الزائدين :**

لمّا كان هدف ابن مالك في ألفيته التسهيل والتخفيف على الطلبة، فقد اجتهد أن يتجنب في ألفيته كل ما من شأنه أن يُعدَّ حشواً أو شرحاً زئداً عن الحد، لذا جاءت الألفية خالية من الحشو الذي لا طائل تحته، ولا فائدة مرجوة منه، وكذلك جاءت هذه الألفية عارضة لأصول النحو العربي بشكل مختصر خالٍ من تفصيل الأمثلة والشواهد الواردة فيها.

وقد كان ابن مالك في ألفيته يذكر بعض الكلمات الدالة على الاختصار وعدم التعرض لكل التفاصيل، ومن ذلك مثلاً حديثه عن مسوغات الابتداء بالنكرة كقوله في بيته رقم(127) في الألفية :" وليقس ما لم يُقَلْ" حيث يقول :

ورغبةٌ في الخيرِ خيرٌ وعملْ برّ يزين وَليقسْ ما لم يُقَلْ

فعبارة "وليقس ما لم يُقَلْ" جاءت لتوجز كثيرا من مسوغات الابتداء بالنكرة وهذه المسوغات لو أراد ابن مالك ذكرها كاملة لاحتاج إلى عشرة أبيات أخرى، ولكنه اكتفى بالمشهور منها والمتداول، حيث إن بعض العلماء أوصل مسوغات الابتداء بالنكرة إلى ثلاثين مسوغاً . ([23])

إن ما دفع ابن مالك إلى الاختصار والابتعاد عن الحشو طبيعة العلم المنظوم فيه، فهو علم النحو الذي لا يحتاج إلى التطويل والإكثار من الشرح حتى يحقق ابن مالك الهدف المرجو وهو التسهيل للحفظ وبالتالي الفهم، فهو قد أتقن الإيجاز والاختصار بصورة كبيرة ، فحين تكلم عن تعريف الكلام وأراد أن يضع مثالاً لذلك، نراه يكتفي بمثال واحد بقوله: "كلامنا لفظ مفيد كاستقم" فمثال واحد يكفي – في نظر ابن مالك– ولا داعي للإكثار من الأمثلة أو الشروح .

2. **الوزن الذي بنيت عليه الألفية :**

[23] ـ المنظومة النحوية ، ص: 276

International Journal of Academic Multidisciplinary Research (IJAMR)
ISSN: 2643-9670
Vol. 6 Issue 9, September - 2022, Pages: 472-487

بنى ابن مالك ألفيته على بحر الرجز سواء أكان كاملاً أم مشطوراً، والمعروف أن بحر الرجز هو من أسهل البحور الشعرية وأفضلها لنظم الشعر التعليمي، فهو أقرب البحور إلى النثر، وخال من العاطفة، واختاره ابن مالك ليكون بحراً عليه تبحر ألفيته إلى هدفها المنشود لتُسهل النحو على الطلاب.([24])

3. **ترتيب الأبواب والفصول بشكل مرتب منظم :**

امتازت ألفية ابن مالك بترتيب فصولها وأبوابها حيث جعلها ابن مالك ثمانين فصلاً مسبوقة بمقدمة، ومتلوّة بخاتمة، أولها هو باب الكلام وما يتألف منه، وآخرها الإدغام، وهذا الترتيب يكاد يكون أفضل الترتيب لأبواب النحو العربي، لأنه جعل كل باب وحدة مستقلة عن غيرها، وهذا اقتضى أن تكون الألفية في ثمانين باباً أو عنواناً، وهو بذلك أبعد القواعد النحوية عن المزج والاختلاط فيما بينها، ما أدى إلى الضبط والإتقان، وسهَّل الحفظ والإلمام، وهذا أحد أسباب كثرة الدراسات النحوية حول الألفية التي أغنت علم النحو العربي غناء عظيماً .

ثانياً: نظم قضايا نحوية :

ظهر هذا اللون من الشعر النحوي في فترة متأخرة نسبياً في الأندلس، وقد عالج هذا النمط الشعري بعض القضايا التي كان الأستاذ أو الشيخ يرى أنها بحاجة إلى الحفظ والإتقان، وحتى يسهل على طلبته هذا الحفظ فكان ينظم هذه القواعد شعراً سهلاً خفيفا يسهل حفظه واسترجاعه، وقد يكون هذا الشعر ليس من نظم المدرس نفسه، بل هو من نظم غيره، ولم يكن يرى هذا المدرس حرجاً في إملائه على طلبته إذا كان يؤدي الغرض المرجو منه، وكان أصحاب هذه الفكرة من أشهر النحاة وبخاصة الذين اهتموا بالتدريس والإملاء على الطلبة فكانت هذه الأشعار تُملى على الطلبة ويسجلونها في دفاترهم الخاصة، فكان مثل هذه الأشعار منتشراً في دفاتر الطلبة وكراساتهم، وقد اختلفت المواضيع النحوية التي نظم فيها العلماء الأندلسيون مقطوعاتهم الشعرية وأشهر هذه الموضوعات هي :

1. **علل الممنوع من الصرف :**

حظي هذا الموضوع باهتمام الأندلسيين حيث نظموا فيه وبينوا علله وكان من أشهر العلماء الذين نظموا فيه وذكروا علله أبو بكر بن طاهر، حيث نظم علل الممنوع من الصرف شعراً يسهل حفظه ويحفظ القاعدة النحوية حيث يقول:

موانعُ صَرفِ الاسمِ عشرٌ فَهَاكَهَا ملخصةً إنْ كُنْتَ في العلمِ تَحْرِصُ

فجمعٌ وتعريفٌ وعَدلٌ وعجمةٌ ووصفٌ وتأنيثٌ ووزنٌ مُخَصَّصُ

وما زِيْدَ في عدة وَعِمْرانَ فانْتَبِهْ وعاشِرُهَا التَّركِيبُ هذا مُلخَّصُ([25])

إن ابن طاهر في نظمه هذا لعلل الممنوع من الصرف قد ذكرها بإيجاز سهل بسيط يسهل معه الحفظ ، وقد جعل هذه العلل عشر علل هي: العلمية والوصفية، والعدل والتأنيث، والعجمة والتركيب والزيادة والوزن والجمع، وقد أضاف إليها علة أخرى هي تعريف التأنيث والعجمة والتركيب وقد خالف ابن طاهر جمهور النحاة في إضافة هذه العلة لأن النحاة جعلوا علل الممنوع من الصرف تسع .

[24] ـ جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي ، ص: 159
[25] ـ الأشباه والنظائر.2/82 :

لم يكن ابن طاهر وحده مخالفا للعلماء في عدد الموانع من الصرف حين أضاف العاشرة، بل تبعه الإمام أبو قاسم الشاطبي (ت590هـ) حين نظم هذه القواعد شعراً وجعل العلل المانعة للصرف عشر علل فقال:

دعُوا صرفَ جمعٍ ليس بالمفردِ أشْكَالاً وفُعْلانَ فَعْلى ثمَّ ذي الوصفِ أفْعَلا

وذو ألفِ التأنيثِ والعدلِ عُـــــدّهُ والأعجمُ في التعريفِ خُصَّ مُطَـــوّلا

وذو العدلِ والتَّركيبِ بالخفِ والــذي بوزنٍ يَخُصُّ الفعلَ أو غالبٌ عَـــلا

وما ألفٌ مَعْ نـــونِ أُخــراهُ زِيدَتا وذو هَاءِ وَقْفٍ والمؤنّثُ أثْقَـــــــلا

نلاحظ أن الشاطبي تبع ابن طاهر في عدد العلل الممنوعة من الصرف وأضاف إليها ما أضافه ابن طاهر وهي علة تعريف التأنيث والعجمة والتركيب، ولعل لهما ما يبرر فعلهما فابن جني والسخاوي من بعده يذكران أن هذه "إذا تنكرت صرفت وإذا عرفت منعت لأن التعريف يثبتها في التأنيث والعجمة والتركيب " ألا ترى أنك تصرف (أربعاً) وإن كان فيه الوزن والتأنيث و(باذنجان) وإن كان فيه التركيب والعجمة، وحضرموت اسم امرأة، إذا نكر وإن كان فيه التركيب والتأنيث، ولا تصرف شيئاً من ذلك معرفة، فهذا يدل على قوة الاعتداد بالتعريف .([26])"

2. **جمع المؤنث السالم (ما جُمع بألف وتاء) :**

من القضايا التي اهتم بها النحاة الأندلسيون جمع المؤنث السالم وطرق جمعه وشروط هذا الجمع ، وظهر هذا الاهتمام من خلال نظم هذه الشروط شعراً يسهل حفظها ومن ذلك ما قاله الشاطبي في شروط هذا الجمع :

وَقِسْهُ في ذِي التَّا وَنَحْوِ ذِكْرَى وَدِرهَمٍ مُصَغَّرٍ وَصَحْرا

وَزَينَبٌ وَوَصْفُ غَيْرِ العَاقِلِ وَغَيْرُ ذَا مُسلَّمٍ للنَّاقِـــــلِ

نلحظ من البيتين السابقين أن الشاطبي قد أوجز في شروط الاسم الذي يجمع جمعا مؤنثا سالماً وهي خمسة شروط :

أ. ما انتهى بتاء سواء أكان هذا الاسم يدل على مؤنث مثل جميلة، أم يدل على مذكر مثل معاوية، وطلحة .

ب. ما انتهى بالألف المقصورة مثل: ذكرى، وليلى، أو بالألف الممدودة مثل: غيداء، وحمراء .

ج. ما دل على علم مؤنث دون وجود علامة التأنيث فيه مثل: زينب، وهند وسعاد .

د. ما دل على وصف لمذكر غير عاقل مثل: أعلام جميلات، وجبال عظيمات .

هـ. الاسم المصغر المذكر غير العاقل مثل دُرَيْهم، فُلَيْس .

3. **حروف الزيادة :**

[26] ـ السابق : 29- 29- 32– 2/33

حظيت حروف الزيادة في اللغة العربية بقدر عظيم من اهتمام العلماء الأندلسيين، وأُلفت فيها الرسائل وجُمعت فيها الضوابط كما فعل صاحب نفح الطيب فهو يقول : " وعلى ذكر حروف الزيادة فقد أكثر الناس من انتقاء الكلمات الضابطة لها، وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط " ويقول كذلك " وقد جمعت في المغرب زيادة على ما تقدم ، وكنت قدرت رسالة فيها أسميها (إتحاف أهل السيادة بضوابط حروف الزيادة " ([27]) .

وقد تفنن العلماء الأندلسيون – كما يقول المقري– في نظم هذه الحروف والضابط لها شعراً فكان أكثر من عالم أندلسي قد نظم هذه الحروف وضابطها شعراً نذكر منهم :

أ. الإمام ابن مالك صاحب الألفية حيث نظم هذه الحروف في بيت من الشعر بأربعة أمثلة من غير حشو فقال :

هَنَاءٌ وَتَسليمٌ تَـلاَ يَـوْمَ أُنْسِـهِ نِهَايَةُ مَسؤولٍ أَمَانٌ وَتَسهِيلُ

نلحظ من بيت ابن مالك أنه جمع هذه الحروف الزائدة في أربعة أمثلة هي "هناء وتسليم، وتلا أنسه، ونهاية مسؤول، وأمان وتسهيل" فأية واحدة منها تكفي، كل هذا ليسهل على الطلبة والدارسين حفظ هذه الحروف ومعرفتها والقدرة على استخراجها من البنى والكلمات .

ب. الأديب الأندلسي النحوي أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري اليابري، الذي نظم هذه الحروف في بيت من الشعر وبشكل صريح واضح حيث يقول:

سألتُ الحرُوفَ الزَّائِداتِ عَنْ اسْمِهَا فَقَالتْ وَلَمْ تَكْذِبْ أَمَانٌ وَتَسهَيلُ([28])

فهذا العالم شارك ابن مالك في الكلمات التي تجمع حروف الزيادة وهي "أمان وتسهيل"

ج. الإمام المؤلف أحمد بن محمد المقري صاحب كتاب" نفح الطيب "، حيث نظم هذه الحروف في بيت من الشعر هو:

قالت حروف زيادة لسائلها هل هويت بلدة : أهوى تلمسانا

فالإمام المقري خالف ابن مالك وابن عبدون في الكلمة التي تجمع هذه الحروف حيث جعلها في عبارة (أهوي تلمسان). ([29])

ثالثاً: نظم أسئلة وأجوبة :

كانت هذه الأسئلة والأجوبة تستهدف دقائق بسيطة وجزئيات يسيره من جزئيات علم النحو العربي الواسع الممتد، وقد كان رائد هذا العمل في الأندلس ابن السيد البَطَلَيَوْسِي الذي جمع هذه الأسئلة الشعرية في كتاب اسماه "المسائل والأجوبة"، حيث كان يُدرس هذه المسائل لطلابه في المسجد([30])، وكانت هذه الأسئلة تُلقى على ابن السيد إما من عالم نحو مثله، أو من طالب من طلابه، أو من بلد آخر يرسلها أحدهم شعراً فيجيب عنها شعراً، وإنْ نثراً فالجواب يكون نثراً .

[27] ـ نفح لطيب من غصن الأندلس الرطيب ، 455 ـ 3/457 .

[28] ـ المرجع السابق ، ص: 3/454 .
[29] ـ نفح لطيب من غصن الأندلس الرطيب 454- 3/455
[30] ـ الشعر التعليمي النحوي في الأندلس ، ص: 65

لقد حوى كتاب ابن السيد كثيراً من هذه الأسئلة النثرية والشعرية، ومن ذلك ما عُرض على ابن السيد شعراً فأجاب عنه العالم شعراً كما جاءت صيغة السؤال، والسؤال هو :

جَوَابَكَ يَا ذا العلمِ إنّي لسائلٌ عنْ أشياءَ مِنْ ذِا النَّحْو تَخْفى وتعظُمُ

فأوْرِدْ عليها من كلامِكَ شَافِياً تُبينُ بِه كُلَّ البيـــانِ وَتُفْهِـــــــــمُ

فَمثلُكَ للأَفهام يُدعى وتُرْتَجَى فوائِدُهُ إنْ جَلّ أوْ عـــزَّ مُبْهَـــــمُ

هذه الأبيات تمثل مقدمة قصيرة قدّم لها السائل عن سؤاله، وفيها مدح لابن السيد البطليوسي، ووصف له بالعلم وأنه على قدر المسؤولية في هذا العلم، وفيها أيضاً يوضح أنه سوف يعرض عليه سؤالاً ليجيب عنه فقال في سؤاله الأول :

عـلامَ تُعِلُّ الشَّـيء عِلَّـةَ غيرِهِ فَتُسْقِمُهُ وَهْوَ الصَّـحيحُ المُسلَّمُ

وَيبرأُ أنْ أضـحى سُواه مُسلَّماً مِنْ إعلالـهِ وَهوَ العَليلُ المُسَقَّمُ

في هذين البيتين يسأل السائل عن علل النحو العربي، ولماذا يُعلل النحاة ويقيسون شيئاً على شيء آخر، ثم يواصل السائل سؤاله عن موضوع آخر هو لفظة (لابأس) وهل (بأس) بإضافة لا النافية إليها معربة أم مبنية، فإن كانت معربة فلماذا حذف النحاة التنوين؟ وهذا خطأ عندهم، وإن كانت مبنية فكيف تنصب، أو أن هذه اللفظة مبنية ومعربة معاً، وهذا غير معقول، فالسائل يقول شعراً :

وَمَا القولُ فِي (لا بَأْسَ) إنْ يَكُ مُعْرَباً فَحَذْفُكَ التَّنْوينَ نُكْرٌ مُعَظَّـــــمُ

وَإنْ يَكُ مَبنيّاً فقــولُكَ نَصْبُـــــهُ بِلا خطأ يُحْصَى عَليكَ وَيُرْسَـــمُ

وإنْ يَكُ مَبْنِيّاً لَـــدَيكَ وَمُعـــــرباً فَذَا النُّكْرُ أدْهَى في النُّفُوسِ وَأعْظَمُ

وقد أجاب ابن السيد عن الأسئلة ، فهو يقول راداً على السؤال:

وَلا بَـأْسَ فِـي إعرابِـهِ وَبِنائِـــــهِ بِأَيِّـهِمَا قُلتَ اعْتِراضٌ مُلَـــــزِّمُ

لِحَذْفِكَ تَنْوِين الذي هُو مُعْرَبٌ وَذَلـكَ رَأيٌ عِنْـدَنَا لا يُسَلَّـــــــمُ

وَإنْ يَـكُ مَبْنِيّاً ففِيْمـا وَصَـفْتــــهُ على لَفْظِهِ وَالنُّكْرُ فِي ذَاكَ أعْظَمُ

وَجَمْعُكَ للضِّـدَّينِ أعظـمُ شنْعَةً وَلَـمْ يَتَـوَهَّمْ فِيـــهِ ذَا مُتَوَهِّـــــمُ

وَقَدْ أكْثَرُوا فِيهِ المَقالَ وَشَتَّتُوْا إلـى أنْ أمَلُّوا النَّـاظِرِينَ وَأبْرَمُـــوا

وَأكْثرُ مَا قَالوه مَا فيـهَ طَائِلٌ لِقَارِئِـهِ إلا الكـلامُ المُنَمْنَـــــــمُ

نلاحظ من هذه الأبيات أن ابن السيد البَطَلَيَوْسِي قد بدأ جوابه عن (لا بأسَ) بعرض وجهات النظر المختلفة فيها ثم نراه يُبيّن فساد هذه الآراء، ويوضح أنها لا تفيد طالب علم النحو العربي إلا الكلام ا الذي لا طائل تحته، بل هي على العكس من ذلك جعلت الطلبة يشعرون بالملل وعدم الرضى عن تلك الأحكام، ثم يتابع قوله وجوابه شعراً فيقول:

فَمِنْ قَائلٍ ظَنَّ البنـــاءَ وَقائـــــلٍ يُضَارِعُ إعْرَاباً وَذَا الرَّأيُ أَحْكَمُ

كَمَا ضَارعَ الإعرَابَ في غَيره البِنَا إذا قُلْتَ جَارات الأسماءِ أكرَمُ

تَوسَّطَ بَينَ الحَالَتَينِ فَأمْـــــــرُهُ خَفِيٌّ عَلى غَيرِ النَّحَارِيرِ مِنْهُمُ

لِذَا كَثُرَ الإشْكَالُ فِيهِ فَلَمْ يَبِـــنْ وَخَلّطَ فِيهِ كُلُّ مَنْ يَتَكَلَّـــــمُ

وَيُشبِهُ حَالَ المُنادى كِلاهُمَا مِنَ النَّحْوِ مَخْصُوصٌ بِهَذا وَيُعْلَمُ

لِذَلِكَ جازَ الحَمْلُ للوصفَ فِيهِما على اللَّفْظِ وَالمعْنَى كَمَا جَاءَ عَنْهُم

فَهَذا الـــذي أخْتَارُ فِيهِ لأنَّـــهُ لِمُبْصِرِهِ أهْدى سَبِيلاً وَأقْـــوَمُ ([31])

إن ابن السيد في هذا الجزء من الأبيات يعرض لرأيه الخاص في هذه المسألة وهو أن لفظة (لا بأسَ) شابهت المنادى المفرد في أنه يُبنى على الضم مع أن محله النصب، فنقول عنه مبني على الضم في محل نصب، وكذلك يجوز أن يكون موصوفه منصوباً على المحل أو مرفوعاً على اللفظ فنقول (يا يوسفُ الصّدّيقُ) أو (يا يوسف الصدّيقَ) والأمر نفسه مع (لا بأسَ) فهي مبنية على الفتح في محل نصب اسم لا النافية للجنس .([32])

ويمكننا القول بأن : هذه الأسئلة وتلك الأجوبة شكلت مخزوناً عظيماً للقواعد النحوية وبطريقة سهلة منظمة ميَّسرة، كان لها أثر عظيم في التخفيف على الطلبة والدارسين من صعوبة علم النحو، وتحويله إلى أسلوب علمي جديد يتمثل في السؤال والجواب وهو الأسلوب المفضل لدى الطلبة .

النتائج:

- النظم التعليمي عربي محض مستمد من الأراجيز والمتون القديمة .
- تطور النظم التعليمي بتطور الحياة الفكرية والحضارية وتأثر كغيره من العلوم بالثقافات والحضارات الأخرى .
- ساهم النظم التعليمي بصورة واضحة في تسهيل النحو على الطلبة والدارسين
- اتخذ العلماء طرقا متنوعة في سبيل تسهيل قواعد النحو ، كنظم الألفيات ونظم القضايا النحوية والأسئلة والأجوبة
- رقي الحياة العلمية وتعرض الأندلس للنكبات والويلات بجانب طبيعة الشعر المنظوم من الأسباب التي ساهمت بصورة واضحة في انتشار الشعر أو النظم التعليمي.

المصادر والمراجع

[31] ـ الأشباه والنظائر ، لمعرفة المزيد حول نظم ابن السيد للأسئلة والأجوبة ، 194ــ 5/200

[32] ـ الشعر التعليمي النحوي في الأندلس ، ص: 68

1. الأشباه والنظائر في النحو ، الإمام جلال الدين السيوطي ، تحقيق : عبدالعال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى 1985م .
2. التطور والتجديد في الشعر الأموي ، شوقي ضيف ، ط8، دار المعارف ، القاهرة 1978م
3. جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي ، فادي صقر أحمد عصيدة ، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ـ فلسطين 2006م .
4. خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري ، د. عبد القادر رحيم الهيتي ، جامعة قار يونس – بنغازي، 1993م الطبعة الثانية.
5. الدرة الألفية ، يحيى بن عبد المعطي ، تحقيق : سليمان إبراهيم البلكيمي ،دار الفضيلة – القاهرة 2010م .
6. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي ابن بسام، :تحقيق إحسان عباس ، القسم الأول المجلد الثاني ، دار الثقافة ـ بيروت:1979 .م.
7. الشعر التعليمي النحوي في الأندلس
8. الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، أحمد عبدالستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد ، الطبعة الثانية 1991م -1412هـ .
9. الشعر والشعراء في العصر العباسي ، محمد قاسم نوفل ، مطبعة النصر ، نابلس ،1981م
10. طبقات النحويين واللغويين ، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ــ مصر 1973م. ، الطبعة الثانية.
11. العقد الفريد ابن عبد ربه ، ت : مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ـ بيروت 2/362
12. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق، ت : محمد محي الدين عبدالحميد ،دار الجيل للنشر والطباعة ،ط5 1401هـ -1981م
13. المقدمة ، عبد الرحمن ابن خلدون ، طبعة دار أحياء التراث، بيروت.
14. ملحة الإعراب ، لأبي القاسم بن علي الحريري البصري ، مطبوعات أسعد محمد سعيد ، جدة .
15. المنظومة النحوية ، الخليل ابن أحمد الفراهيدي ، دراسة وتحقيق الدكتور أحمد عفيفي ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، 1995م
16. النحو الوافي ، عباس حسن
17. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر – بيروت 1968م.